﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدَ مَشهدِ دخولِ الإخوةِ مُتفرّقين، جاءَ مشهدُ الدّخولِ على أخيهم بعدَ التّمكينِ

الرّبطُ بين قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ وقولِه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ واضحٌ، إذ هما أجزاءٌ ومَشاهدُ في قصّةٍ واحدةٍ ذاتِ حلقاتٍ متسلسلةٍ؛ فبعدَ أنِ اتّجه أولادُ يعقوبَ إلى مصرَ لجلْبِ الميرةِ، مُزوَّدين بوصيّة والدِهم، وصَلوا إلى مكانِ وجودِ العزيز الّذي يتولّى بيعَ الطّعامِ للنّاس، فلمّا دخلوا عرفَ أخاه وضمَّه إليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: الهمزةُ والواوُ والياءُ أصلان: أحدُهما التّجمّعُ، والثّاني: الإشفاقُ، ومنَ الأصل الآخِر قولُهم: أَوَيْتُ لِفُلانٍ هو أَنْ يَرِقَّ لَهُ وَيَرْحَمَهُ[2]، وأوى وآوى بمعنًى واحدٍ، وأوى إلى كذا: انضمّ إليه، وأوى إلى اللّه: رجعَ إليه، ومنَ الممدود ما جاء في الدّعاء: (الحمد للّه الّذي كفانا وآوانا)، والمأوى: المنزلُ والمكانُ الّذي يأوي إليه، وأوى له: رقّ له وأشفقَ عليه[3]. ومعنى قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾: أيْ: ضمّه إليه في مأواه[4].

2) ﴿تَبۡتَئِسۡ﴾: أصلُ (بأس) يدلُّ على الشّدّةِ وما ضارَعَهَا، فالبَأْسُ الشِّدَّةُ في الحربِ، والبُؤْسُ: الشِّدَّةُ في العَيشِ، والمُبْتَئِسُ:

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 13/30.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أوى).
(3) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أوى).
(4) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (أوي).

المُفْتَعِلُ منَ الكَراهَةِ والحُزْنِ[1]، والمُبْتَئِسُ: الكارهُ الحزينُ[2]، وقيل: إنّ مُبْتَئِسًا مُفْتَعِلٌ منَ البَأْسِ الَّذي هو الشّدَّةُ، وَمِنْه قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود: 36]؛ أَي: فَلَا يَشْتَدَّ عليكَ أمرُهم، وقيل: المُبْتَئِسُ: المسكينُ الحزين، ومنه الآيةُ؛ أَي: لَا تَحْزَنْ وَلَا تَسْتَكِنْ[3]، ولا تَشتكِ ولا تهتمَّ[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

مقابلةُ يوسفَ لإخوته، وإيواءُ أخيه الشّقيقِ إليه، وإخبارُه بالحقيقةِ

يُخبرُ تعالى عن إخوة يوسفَ أنّهم لَمَّا دخلوا على يوسُفَ، في منزلِ ضِيافتِه، ومعهم شَقيقُه، ضمَّ يوسُفُ إليه شقيقَه، وأشعرَه بالاهتمامِ والأمان، وقال له سِرًّا: إنِّي أنا أخوك فلا تحزَنْ، ولا تغتمَّ بما صنَعوه بي وبك فيما مضى، وأمَرَه بكتمانِ ذلك عنهم[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

إيجازُ الحذْفِ في ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾:

التّركيزُ على المَشاهدِ البارزةِ في القصّةِ، والتّعبيرُ عنها ببيانٍ سامٍ

موقعُ جملةِ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، كموقعِ جُملةِ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ في إيجاز الحذف[6]؛ أَيْ: أغنتْ جملةُ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ عن جُملٍ كثيرةٍ، وهي أنَّهم ارتحلوا، ودخلوا من حيثُ أمرَهم أبوهم، ولَمّا دخلوا من حيث أمرَهم سَلِموا ممّا كان يخافُه عليهم، وما كان دخولُهم من حيث أمرَهم يُغني عنهم من قدَرِ اللّه من شيءٍ، ثمّ دخلوا على أخيهم يوسفَ في مجلسِه الخاصِّ به بعد دخولِهم باحةَ القصرِ، فالكلامُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بأس).
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (بأس).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (بأس).
(4) محمد الأمين الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/117، ودَرْوَزة، التّفسير الحديث: 4/25.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/244، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 402.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/26.

إيجازٌ[1] غرضُه التّركيزُ على المَشاهدِ البارزةِ في القصّة، وتركُ ما بينها من فجَوات[2].

دَلالةُ الواو في قوله: ﴿وَلَمَّا﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ تحتملُ معنيَيْن:

عطفٌ أو استئنافٌ، يُبيّن دخولَهم على يوسفَ أو ضمَّ يوسفَ لأخيه

الأوّلُ: أن تكون عاطفةً، ويكون المعطوفُ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾، والمعنى المشتركُ بين الجُملتَيْن أنّهما ابتدأتا بعبارةِ بـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ الّتي تفيدُ الشّرطيّة؛ أي: الجُملتَان تُرتّبان على حدث الدّخول أمرًا مُعيّنًا، ولكنَّ التّغايُرَ بينهما يكمنُ في أنّ إحدَاهما تتحدّث عن حدثِ دخول المدينة من حيث أمرهم أبوهم حمايةً له في مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾؛ للدّلالة على وجود فارقٍ زمنيّ بين فعل دخولهم المدينة، وفعل دخولهم على يوسف.

الثّاني: أن تكون استئنافيّة؛ وتكون جملةُ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ من فعلِ شرطِها وجوابِها مستأنَفةً استئنافًا بيانيًّا[3]، وكأنّ سائلًا سألَ بعد سماعِ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾: ماذا كان من شأنهم مع يوسف بعد دخولِهم المدينةَ؟ فجاء الجوابُ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾.

الغرَضُ منَ التّعبير بـ ﴿وَلَمَّا﴾:

قدّمَ القرآنُ ما كان مُقدَّمًا في مشاعرِ يوسفَ، وهو ضمُّ أخيه واحتضانُه

﴿وَلَمَّا﴾ ظرفٌ للزّمان الماضي، بمعنى (حين) تتطلّبُ جُملتَيْن مرتبطتَيْن ببعضِهما ارتباطَ فعْلِ الشّرط بجوابِه، وغرضُ تقييدِ الجُملةِ الخبريّةِ: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، بظرْفِ الدّخولِ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/24.
(2) البغا، الواضح في علوم القرآن، ص: 195.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/68.

الإشارةُ إلى تعجيلِ يوسُف بضمِّ أخيه في المأوى، وإطّلاعِه على أنّه أخوه، ودعوتِه لأنْ يُزيلَ من ذاكرتِه ما فعلَه إخوتُه به من قبلُ، وهي ذكرى كان يبتئسُ لها الصّغيرُ كلّما علِمَها منَ البيت الّذي كان يعيش فيه، والإشارةُ إلى هذا التّعجيل علمًا أنّ إيواءَ يوسفَ لأخيه، لم يحدث فورَ دخولِهم على يوسفَ، وإنّما بعد أنِ اختلى يوسفُ بأخيه؛ لأنَّ أوّلَ خاطرٍ ساورَ يوسُفَ عند دخولِهم عليه كان رُؤيتَه لأخيه بعدَ الفراقِ الطّويل، ومن ثمَّ جعلَه السّياقُ أوّلَ عملٍ؛ لأنّه كان أوّلَ خاطرٍ.

دَلالةُ التّعبير بالماضي جمعًا ﴿دَخَلُواْ﴾:

عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بفعل الماضي ﴿دَخَلُواْ﴾، بصيغةِ الجمعِ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾؛ للدّلالةِ على أنّ الدّخولَ على يوسُفَ قد تحقّقَ منهم كلِّهم بلا استثناءٍ، وأنّ دخولَهم عليه كان فرادَى تنفيذًا لوصيّةِ أبيهم في ألّا يدخلوا من بابٍ واحدٍ، وربّما تكونُ هي الحاجة الّتي ذكرها يعقوبُ؛ لتكونَ المساعدَ ليوسفَ في إيواءِ أخيه إليه، وإنْ لم يَقصدْ يعقوبُ ذلك.

دخولُهم فُرادى على يوسفَ مكّنه من ضمِّ أخيه وإخبارِه بالحقيقة

دَلالةُ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه: ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾:

عدَّى البيانُ القرآنيُّ فِعْلَ ﴿دَخَلُواْ﴾، بحرف الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ للاستعلاءِ المجازيِّ المُكنّى به عن تمكُّنِ الإخوةِ منَ الدّخول على يوسفَ، ومقابلتِه دونَ أيّ مانعٍ.

استعلاءٌ مجازيٌّ كُنّي به عن تمكُّنِهم من الدّخولِ دون أيِّ مانعٍ

نُكتةُ التّعبيرِ بالاسمِ الصّريحِ ﴿يُوسُفَ﴾:

صرّح البيانُ القرآنيُّ باسْم ﴿يُوسُفَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾؛ لأنّه لم يجْرِ له ذِكرٌ في الآيات الّتي سبقت هذه الآيةَ؛ إذِ المَشاهِدُ فيها كانت عنِ الحوارِ بين الإخوة وأبيهم يعقوبَ، في شأنِ إرسالِ أخيهم بِنيامين معهم، ولو عبّرَ بـ (أخيهم) لعادَ الضّميرُ على آخر مذكورٍ وهو بِنيامين، وفي هذه الآيةِ انتقلَ المشهدُ إلى الحديث عن دخولِهم على يوسفَ، فكان لا بدَّ منَ

التّأكيدُ على مقابلةِ يوسُفَ دونَ مَن هم تحت إمْرتِه

التّصريح باسْمِه، كما أنّ في التّصريحِ باسْمِه تأكيدًا للدّخول عليه، ومقابلتِه والاجتماعِ به دونَ غيره ممّن هم تحتَ إمْرتِه.

غرَضُ التّعبيرِ بالمجازِ في قوله ﴿ءَاوَىٰٓ﴾:

في التّقريبِ سبيلٌ للإسرارِ بالحقيقةِ المُفرِحةِ وإشعارٌ بالأمانِ

أطلقَ البيانُ القرآنيُّ الإيواءَ في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ مَجازًا على الإدناءِ والتّقريب كأنّه إرجاعٌ إلى مأوى، وكان له أشْبهَ بالمأوى الّذي يأوي إليه الإنسانُ، فلا يراه أحدٌ، وإنّما أدناه ليتمكّنَ منَ الإسرار إليه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ﴾[1]، وليُشعرَه بالأمانِ الكاملِ معه؛ لأنّ الإيواءَ يتضمّنُ معنى الضّمِّ الى النّفسِ والرّحمةِ والإشفاقِ التّامَّيْن منَ الخوف؛ إذِ المأوى هو الملجأُ والمأمنُ ممّا يُخشى منه[2]، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: 10][3].

سِرُّ تقديمِ ﴿إِلَيۡهِ﴾، على المفعولِ به ﴿أَخَاهُۖ﴾:

اهتمامُ يوسفَ بمكانِ أخيه، بما يُحقّقُ سُرورَهُ، وسِريّةَ الخطّةِ

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ شبْهَ الجملةِ (مِنْ قَبْلِه) على المفعولِ به ﴿أَخَاهُۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، ولم يَقُل: (آوى أخاه إليه)؛ للاهتمام بالمكان الّذي تحقّقَ فيه الإيواءُ والتقريبُ؛ وهو يخصّ يوسفَ؛ أيْ: إلى نفسِه في الطّعام والمنزلِ والمبيتِ في مجلسٍ خاصٍّ بما يُدخلُ السّرورَ إلى قلبِ أخيه ويحفظُ له سريّةَ خطّته، ولتوكيدِ ضمِّ يوسفَ لأخيه، وإدنائِه وتقريبِه منه، وإشفاقِه عليه، وتطمينِ قلبِه.

سِرُّ الإضافةِ في قوله ﴿أَخَاهُۖ﴾:

في الإضافةِ إشارةٌ للصّفاءِ والشّوقِ، بين الأخوَيْنِ الشّقيقَيْنِ

أضافَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الأخ للضّميرِ (الهاء)، في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾؛ إشارةً إلى قوّة وجْهِ الشّبَهِ بين يوسفَ وأخيه في الخلْق والخُلُق؛ إذ كان يعقوبُ يتعزّى ببنيامين عن فقدِ يوسفَ، وإلى صفاءِ العلاقةِ بينهما، وشِدّةِ المحبّةِ، والشّوقِ بين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/26.
(2) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أوى).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/167.

الأخوَيْن الشّقيقَيْن، فأُخوّتُهما صافيةٌ غيرُ مُعكَّرةٍ ولا مُكدَّرةٍ، كما قال الشّاعرُ:

وَلَيْسَ أَخِي إِلَّا الصَّحِيحَ وِدَادُهُ *** وَمَنْ هُوَ فِي وَصْلِي وَقُرْبِيَ رَاغِبُ

ولذلك اجتمع في القرآن ذكرُهما معًا في كثير منَ الآيات مثل: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ﴾ [يوسف: 8] و﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ و﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: 77]، و﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87] و﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾ [يوسف: 90]، كما أنّ من عادة القرآن ألّا يذكرَ غيرَ أسماءِ الرّسلِ والأنبياء.

دلالة مَوقعُ جملةِ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾:

فَصلَ البيانُ الإلهيُّ قولَه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ عمّا قبلَه ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾؛ لأحدِ أمرَيْن: **الأوّلُ**: أنّها جاءتْ بدلَ اشتمالٍ من جُملةِ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾[1]؛ أيْ: بينَهما كمالُ اتّصالٍ، **والثّاني**: أنّها جاءتْ مستأنَفةً استئنافًا بيانيًّا؛ لِما بينَهما من شِبْهِ كمالِ اتّصالٍ؛ لأنّه لَمّا آوى إليه أخاه فكأنّه قيل: ماذا قالَ له، هل أعْلَمه بنفسه، أو كتمَ ذلك عنه كما فعلَ بسائر إخوتِه؟ فقيل: بل ﴿قَالَ﴾ مُعْلِمًا له: إنِّي أنا أخوكَ؛ لأنّه لا سببَ يقتضي الكتْمَ عنه[2]، بل يقتضي الإخبارَ بهذه الحقيقةِ تسليةً لنفسِ أخيه، وتطمينًا له، وتهيئةً لِما سيُمتحنُ به.

في الإيواءِ والتّقريبِ والإخبارِ بأنّه الشّقيقُ تحقيقٌ للأمنِ وإزالةٌ للخوفِ عندَه

نُكتةُ تقدُّمِ ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ على ﴿قَالَ﴾:

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ الفعلَ ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ أي: الإيواءَ على القول: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ وتعريفِ بنيامين بنفسه لأمورٍ: **الأوّل**: للحرْصِ على السّرّيّة؛ لأنّه لا يضمنُ ما سيترتّبُ على ذلك من مشاعرِ بنيامين

في تقديمِ الإيواءِ حرصٌ على السّرّيّة، وتمهيدٌ للخبرِ العظيمِ المؤثِّرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/26.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/167.

عندما يعلمُ بأنّ يوسفَ هو أخوه، ممّا سيؤدّي إلى إفسادِ خطّتِه في لَمِّ شمْلِ أهلِه كلِّهم في مصرَ؛ إذ إنّ إخوتَه الّذين كادوا له إذا علِموا بأنّ يوسفَ أخوهم فلنْ يعودوا حياءً منه.

والثّاني: لِيعرّفه الحالَ بالتّدريج حتّى يتحمّلَ أثقالَ السّرورِ بالخبر العظيمِ المُؤثِّرِ ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾؛ إذِ المفاجأةُ في مثل ذلك ربّما تكونُ سببَ الهلاك[1]، وحتى يتحمّلَ أثقالَ المَلامَة الّتي ستقعُ عليه من إخوته والحرسِ والنّاسِ الحاضرين وأبيه وأهلِه الغائبين؛ فرؤيةُ يوسفَ جعلتْ قلبَ بِنيامين يحتملُ المَلامةَ، وكيف لا يحتملُ ذلك وبلاءُ العالمِ محمولٌ بلمْحةِ رؤيةِ المعشوقِ، والعاشقُ الصّادقُ يُؤْثِرُ المَلامةَ ممّن كانت في هوى محبوبِه[2].

الثّالثُ: للإشارةِ إلى أنّ الأخوّةَ ليستْ كلامًا فحسبْ، وإنّما أفعالٌ قبْلَ القولِ.

سِرُّ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ المُؤكّدة ثلاثًا:

الكلمةُ المُختصرةُ البليغةُ، تُثبتُ المضمونَ، وتُطمئنُ المحزونَ

عبّر البيانُ الإلهيُّ في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ بكلمةٍ مُخْتَصَرةٍ بليغةٍ جمعتْ عدّةَ مؤكّداتٍ، هي: التّعبيرُ بالجملةِ الاسميّةِ الّتي تَدلُّ على الثّباتِ وقوّةِ الحُكْمِ وَبَقائِهِ، وهو أنّه هو أخوه الّذي ظنَّ أنّه قد أكَلَه الذِّئبُ، والمؤكّد الثّاني: تأكيد الخبر وهو أنّه أخوه يوسف بـ (إنَّ) الّتي تفيدُ التّوكيدَ، فلم يَقُل: أنا أخوك فحسب، والمؤكّد الثّالثُ: القَصْرُ الَّذي أفادَه ضميرُ الفَصْلِ ﴿أَنَا۠﴾، فلم يَقُل: (إنّي أخوك)، والمعنى: أنا مَقْصورٌ على كَوْني أخاك لا أجْنَبِيٌّ عنك؛ فهو قصرُ قَلْبٍ؛ لاعتقادِه أنَّ الَّذي كلَّمَه لا قَرابةَ بينه وبينه[3].

والمؤكّد الرّابعُ: التّعبيرُ باسْمِ (إنّ) بضمير المتكلّم ﴿إِنِّيٓ﴾ أي:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/74.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/74.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/26.

بصوتي وملامحي وأخلاقي الّتي تُشبهُك، مع التّعريف بالإضافة في ﴿أَخُوكَ﴾ تعريفَ نسبٍ وأخوّةٍ شقيقيْن لأمٍّ واحدة؛ بما يزيلُ وحشةَ أخيه، ويُقرّرُ في قلبه حصولَ الأُنس.

فكلُّ هذه المؤكِّداتِ مجتمعةً تفيدُ مبالغةَ يوسفَ في توكيد إثباتِ أُخوّته لأخيه بنيامين لِما كان عندَه منَ الإنكار؛ إذ إنّه أتَى بالآكدِ في هذه العبارةِ البليغةِ المختصرةِ، بما لا يتركُ عند أخيهِ أيَّ شكٍّ وإنكارٍ بعد هذا الغيابِ الطّويل الّذي زادَ على عشرين سنةً، فُقد فيها الأملُ؛ بسبب طولِ غيبته وتغيّرِ أحوالهِ وقطعِ الرّجاء منه[1]، وهو توكيدٌ مشحونٌ بالعاطفة والحُبِّ.

غرضُ التّعبير باسْمِ (إنّ) بضميرِ المتكلّم ﴿إِنِّيٓ﴾:

تنبيهُ يوسفَ أخاه إلى صورَتِهِ، وتذكيرُه بنفسه

عبّرَ القرآنُ عنِ اسْم (إنّ) بضميرِ المُتكلِّم (إنّي)، في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾؛ لأنّ ذلك أدْعى إلى تصديقِه، فمنْ كانتْ هذه حالهُ منَ المُلكِ والسّلطان ليس بحاجةٍ إلى أنْ يُكذَّبَ، إضافةً إلى لفتِ انتباهِ أخيه إلى صورتهِ وملامحِه الّتي ظهرتْ أكثرَ لمّا خلعَ عن رأسه التّاجَ، وذكّره بنفسِه.

سِرُّ تعريفِ المُسنَدِ بالإضافة ﴿أَخُوكَ﴾:

التّعريفُ بالنّسب، ووَشائجِ الرّحم، أقوى في إزالةِ الوحْشةِ، وحُصولِ الأُنسِ

الصّحيحُ ما عليه سائرُ المُفسّرينَ من أنّ يوسفَ أرادَ منَ التّعريفِ بالإضافة في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ تعريفَ النَّسب، لا كما ذكرَ بعضُهم من أنّه لم يُردْ أنّه أخوهُ منَ النَّسب، ولكنْ أرادَ به إنّي أقومُ لكَ مقامَ أخيك في الإيناس؛ لئلّا تَستوحشَ بالتّفرّد؛ وذلك لأنّ التّعريفَ بالنَّسبِ أقوى في إزالةِ الوحْشةِ وحصولِ الأُنس، ولأنّ الأصلَ في الكلام الحقيقةُ، فلا وجهَ لصرْفِه عنها إلى المجازِ من غير ضرورةٍ[2]، كما أنّ الأخوّةَ هنا الّتي قصدَها يوسفُ بهذا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/167.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/485.

التّعريف هي الأخوّةُ بالمعنى الخاصِّ، وهو أنّهما شقيقان، ولأنّ الحقْدَ عليهما جعلَهما ينحازان في منحازٍ واحدٍ، كما أراد الإخوةُ الكبارُ[1]، ولأنّ أخاه كان أشبَهَ النّاس به خلْقًا وخُلُقًا، ولذا كان يعقوبُ يتعزّى بوجودِهِ عن يوسفَ عليه السلام.

دَلالةُ الفاءِ في قوله ﴿فَلَا﴾:

(الفاء) في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ حرفُ عطْفٍ وتفريعٍ[2]، مُترتّبةٌ على ما قبلَها؛ أيْ يتفرّعُ عن كوني أخاكَ يوسفَ ألّا تخافَ ولا تحزنَ فقد أمِنْتَهم بالاجتماعِ معي، كما أنّها تفيدُ التّعقيبَ وسرعةَ إيصالِ الأمنِ والسّرورِ إلى قلبِ أخيه.

لا بُؤسَ لِبنيامين بعد لقاءِ يوسفَ، بل كان الاطْمئنانُ واصلًا بسرعةٍ لقلْبِه

الغرَضُ منَ التّعبيرِ بأسلوبِ النّهي:

﴿فَلَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ ناهيةٌ، والقولُ هو قولُ يوسفَ عليه السلام لأخيه بعد أنْ عرّفه بنفسه أنّه أخوه، وغرضُ النّهيِ أمورٌ:

تسليةُ يوسفَ لأخيه بالأمانِ، ونُصحٌ منه بتصفيةِ القلبِ وعدمِ الابتئاسِ

الأوّلُ: الكفُّ عنِ الابتئاسِ؛ شفقةً من يوسفَ وتسْريةً عن نفسِ أخيه[3]؛ أيْ: فلا يرهقنّك بعد الآن بؤسٌ ولا كدرٌ ولا شدّةٌ بسبب ما كانوا يفعلون منَ الجفاء والأذَى وسوءِ المعاملة بحسدِهم لي ولك، فأزلْ عنك الحزنَ، ولا تُدخلْه على نفسك، واعتضْ عنه بالسّرور[4]؛ فقد أمِنْتَهم[5]؛ أيْ: بالاجتماع معي، وكذا لا تأسفْ على ما صنعوا بي[6].

الثّاني: النّصحُ بتصفيةِ قلبه على إخوتِه، وذلك أنّ يوسفَ عليه السلام ما بقيَ في قلبِهِ شيءٌ منَ العداوةِ، وصارَ صافيًا مع إخوته، فأرادَ أنْ يجعلَ قلبَ أخيه صافيًا معهم أيضًا، فقال: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3843.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/68.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3843.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/27.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/294.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/400.

يَعۡمَلُونَ﴾؛ أيْ: لا تلتفتْ إلى ما صنعوه فيما تقدّمَ، ولا تلتفتْ إلى أعمالِهم المُنكَرةِ الّتي أقدَموا عليها[1]، وكأنّه أسرَّ إليه بالاطْمئنانِ إزاءَ ما سيفعلُه معهم، لا إرهابًا ولا انتقامًا، فمعاذَ اللّه أن يكونَ نبيُّ اللّه منتقمًا جبارًا، ولكنْ ليبقَى أخوه في ظلّه، وليستمتعَ كلاهما بالأُخوّةِ الرّفيقةِ القريبةِ[2]، وفي هذا دَلالةٌ على التّحلّي بصِفةِ العفوِ والتّسامُحِ، وإظهارِ الحبّ والوُدّ لإخوتِه، ونسيانِ الماضي وتجاوُزِ أخطائِهم معه في مقتَبلِ العمرِ[3].

الثّالثُ: التّطمينُ لبِنيامين بألّا يخافَ؛ ذلك أنّهم إنّما فعلوا بيوسفَ ما فعلوه؛ لأنّهم حسدوه على إقبالِ الأبِ عليه وتخصيصِه بمزيدِ الإكرام، فخافَ بِنيامين أنْ يحسدوه بسبب أنّ الملكَ خصَّه بمزيدِ الإكرامِ، فأمّنَه يوسفُ منهم، وقال: لا تلتفتْ إلى ذلك؛ فإنّ اللّه قد جمعَ بيني وبينَك[4].

دَلالةُ حرفِ الجرِّ الباءِ ﴿بِمَا﴾:

إسـاءات إخـوةِ يوسُفَ السّابقة كـانـتْ سببًا في بـؤس يـوسـفَ وأخيه

حرفُ الجرِّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ تحتملُ أن تكون للإلصاق، والمعنى: أنّ أعمالَ إخوتِه منَ الحسد والأذى، ليوسفَ وأخيه كانتْ مُلتصقةً بهم ملابِسةً لهم لا تنفكُّ عنهم.

وتحتمل أن تكون للسّببية، والمعنى: فلا تبتئسْ بسببِ الّذي كانوا يعمَلونَه منَ الأذى والحسدِ.

غرَضُ التّعبيرِ بالمجرورِ اسمًا موصولًا مبهمًا (ما):

إبهامُ أعمالِهم السّيئة، دَلالةٌ عـلى كـثرتـهـا، ومع ذلك يتجاوزُ عنها

عبّر البيانُ الإلهيُّ بالاسْمِ الموصولِ (ما) مبهمًا في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ لإفادة العُموم؛ ليشملَ كلَّ ما عملَه إخوتُه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/485.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3843.
(3) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 13/33.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/485.

مع يوسفَ وأخيهِ وأبيهما من قولٍ أو فعلٍ، بخلافِ ما لو ذكرَ أحدَ أفعالهم، فإنّ ذلك يُذهبُ معنى العمومِ.

وقد ذكرَ المُفسّرون عدّةَ أقوالٍ في الأمور الّتي كانوا يعملونَها بيوسفَ وأخيه، منها[1]: أنّهم كانوا يعيِّرون يوسفَ وأخاه بعبادةِ جدِّهما - أبي أُمّهما - للأصنامِ، فقال له: لا تبتئسْ بما كانوا يعملون منَ التّعيير لنا. ولا تحزنْ بما سيعمَلون بعد هذا الوقت حين يُسرِّقونك، فتكونُ ﴿كَانُواْ﴾ بمعنى (يكونون)، ولا تحزنْ بما عملوا من حَسَدِنا، وحرصوا على صرفِ وجْهِ أبينا عنّا.

سِرّ التّعبير بالفعلِ ﴿كَانُواْ﴾ بصيغةِ الماضي:

بيانُ عفوِ يوسُفَ الكريمِ، وحضِّه أخاه على العفْوِ

عبّر البيانُ القرآنيُّ بفعل الكون بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، ولم يَقلْ: بما عملوا؛ للدّلالةِ على أنَّ المُرادَ هو ما عمِلوه فيما مضى[2]، وما زالوا ثابتين مُستمرّين عليه راسِخين فيه[3]؛ لأنّ خبرَ الجُملةِ الاسميّةِ جاءَ فعلًا بصيغةِ المضارع، والمعنى: فلا تحزنْ بما كانوا يعمَلون من إقامتِهم على حسدِنا، والحرصِ على انصرافِ وجْه أبينا عنَّا[4].

دَلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

رغْمَ تجدُّدِ إساءاتِ الإخوةِ ليوسُفَ وأخيه واستمرارِها، فالعاقبةُ خيرٌ

دلَّ صَوغُ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بصيغة المضارعِ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ على أنّ أعمالَ إخوتِه مُتكرّرةٌ من الأذى، وفي هذا تهيئةٌ لنفسِ أخيه لتَلقّي حادثِ الصُّواع باطْمئنانٍ حتّى لا يخشى أنْ يكونَ بمحلِّ الرِّيبةِ من يوسُفَ ﷺ[5]، والمعنى: فلا تُدخلْ على نفسك البُؤسَ والحزنَ بما كانوا يعملون؛ أيْ: بما استمرّوا على عملِه من

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير: 2/456.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/27.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/168.
(4) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 11/158.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/27.

إثارةٍ للحسدِ والحقْدِ، فقد عمِلوه معي وكانتْ عاقبتُه ما ترى لي، فقد آلتْ عاقبةُ فعلِهم إلى أنْ أكونَ عزيزَ مصرَ، وما يفعلونَه معك لا تتصوّرْ أنْ تكونَ عاقبتُه شرًّا، فعاقبتُه لك خير[1].

نُكتةُ حذْفِ مفعولِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

الحذْفُ للعنصرِ المحذوف، بين الإيجازِ المُخصَّص، والعمومِ المألوفِ

حَذَفَ البيانُ القرآنيُّ مفعولَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ لأمريْن:

الأوّلُ: دَلالةُ السّياقِ عليه؛ إذِ القصّةُ تدورُ على ما قام به إخوةُ يوسفَ بيوسُفَ وأخيه.

الثّاني: إفادةُ العُموم، ليشملَ كلَّ ما فعله إخوةُ يوسفَ بيوسفَ وأخيه قولًا وفعلًا منَ الحسد لهما وصرْفِ وجْهِ أبيهما عنهما، وإلقاءِ يوسفَ في البئر، والتّسبّبِ في كلِّ ما أصابه وأصاب أخاه وأباه من ألمِ الفراقِ، أو ليشملَ ما يقعُ به من إخوتِه في المستقبل حين يشبّهونَه بأخيه في السّرقةِ على اعتبار ﴿كَانُواْ﴾ بمعنى يكونون، وتقديرُه: لا تبتئسْ بما يكونون يعملون بعد هذا الوقت، وإلى هذا المعنى، والعربُ تجعلُ (كان) في موضع يكون، و(يكون) في موضع (كان) إذا انكشف المعنى[2].

نُكتةُ التّعبير بـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ دونَ غيرها:

عفوُ يوسُفَ كان عظيمًا، مقابلَ جُرمِ إخوتِه ومؤامراتِهم

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ دونَ غيرِها مثل: يفعلون أو يصنعون؛ لكوْنِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أوسعَ دَلالةً من غيرها، وأنسبَ لسياقِ المقام؛ إذ إنّ لفظَ (عَمِلَ) يعمُّ أفعالَ القلوب والجوارح[3]؛ أي الجانب المادّيّ والمعنويّ، بخلافِ لفظِ الفعْلِ فإنّه يقتصرُ على الجانب المادّيّ دون المعنويِّ، وهذا ما كان

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3843.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 12/178.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عمل).

منهم؛ إذ لم يقتصرْ إيذاءُ إخوةِ يوسُفَ على البُغضِ القلبيّ والحسدِ، وإنّما تعدّى للإلقاءِ في البئر والكذبِ على الأب، وإبعادِ يوسفَ عن أبيه وأخيه وأُسرته، كما أنّ العملَ هو كلُّ فعلٍ يكون بقصدٍ؛ أيْ: يكونُ من مُكلَّفٍ، فلا يُقال عنه عملٌ إلّا فيما كان عن فكرٍ ورويّةٍ، ولهذا قُرن بالعلْم[1]؛ أيْ: هو أخصُّ منَ الفعل[2]، وما قام به إخوةُ يوسفَ بأخيهم وبنيامين كانَ عن فكرٍ ورويّةٍ وتخطيطٍ وتنفيذٍ، كما أنَّ العملَ يشملُ القولَ والفعلَ، وإيذاؤهم كان قولًا وفعلًا.

نُكتةُ كثرةِ الهَمزاتِ في الآيةِ:

تـكـافـؤٌ بـينَ قـوّةِ الـهَـمـزات وعُـمقِها، وقـوّةِ مشاعرِ يوسفَ عند لقاءِ أخيه

وردَ في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ سبعُ همزاتٍ، والهمزةُ تخرجُ من أقصى الحلْقِ؛ أيْ هي من أعمقِ الحروف، وهي حرفٌ مجهورٌ شديدٌ انحبسَ في النَفَس والصّوت، وفي ذلك إشارةٌ إلى شدّة الانفعالاتِ والمشاعرِ الّتي عاشها يوسفُ في هذه اللّحظات التّي رأى فيها أخاه الشّقيقَ بعد طول غيابٍ وقوّتِها وعُمقِها، بما يدلُّ على تكافؤٍ بين اللّفظِ والمعنى؛ أيْ: تكافؤٌ بين قوّةِ وعُمْقِ الهمزات، وقوّةِ وعُمقِ مشاعرِ يوسفَ عند لقاءِ أخيه.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(بأس) و(حزن):

الحـزنُ خشونةٌ في النَّفس وغمٌّ، والابتئاسُ شدّةٌ وكُـزّةٌ وحـزنٌ في استكانةٍ

أصلُ (حزن) يدلُّ على خُشُونَةِ الشّيءِ وشِدَّةٍ فيه[3]، والحُزْنُ: الغَمُّ الحاصلُ لوقوعِ مَكْرُوهٍ، أو فَواتِ مَحْبوبٍ في الماضِي[4]، وعرّفه الرّاغبُ بأنّهُ: خشونةٌ في النّفس لِما يحصلُ فيه منَ الغمّ، ويُضادُّه: الفَرَحُ[5]، وأصلُ (بَأْسٌ) يدلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَهَا[6]، والمُبْتَئِسُ:

(1) الكفويّ، الكليّات، ص: 666.
(2) الرّاغب، المُفردات: (عمل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حزن).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (حزن).
(5) الرّاغب، المُفردات: (حزن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بأس).

الكارِهُ الحزينُ[1]، وقيل: المُبْتَئِسُ: المِسكينُ الحزينُ[2]، وابتأسَ: حزنَ واكتأبَ واغتمَّ وخافَ[3]، فالحزنُ يتميّزُ بوجود خشونةٍ في النّفس لما يحصلُ فيه منَ الغمّ، والابتئاسُ يتميّزُ بوجود الشّدّة، فيصبحُ المُبْتَئِسُ كارهًا لها، ويحزنُ حزَنَ بائسٍ مُستكينٍ، ويغتمُّ ويكتئبُ ويخافُ.

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (بأس).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (بأس).
(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (بأس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»